موت المؤلف في الخطابة السياسية من التسليم إلى الإنكار

إعداد/ إسراء أشرف مفيد

باحثة في الأدب العربي

كلية الآداب قسم اللغة العربية – جامعة السويس

الملخص

يعالج هذا البحث موضوع موت المؤلف في الخطب السياسية، أو محاولة تحرير سلطة النص من سلطة المؤلف، وإلى اللامحدودية في التأويل أي عدم حصر نص الخطاب في اتجاة معين دون غيره. فقد أصبح نص الخطاب السياسي بفضل تكنولوجيا العصر؛ نصا مفتوحا يحمل مخزونا لغويا ومعرفيا يتفاعل على كافة الأصعدة مع الخطيب والجمهور المتلقي، ليكون شريكا في النص دون إقصاء الخطيب أو عزله. ولم تعد عملية الكتابة قائمة على العبقرية الفردية ولكنها تتجلى باحتكاك مع ظاهرة جديدة خفية تخضع لظروف الزمان والمكان.

وبناء علية فإن استقبال النص، وقراءته بعدة أوجة مختلفة، والتفاعل معه وفهمه وتأويله دون المعنى السلبي لنص؛ من خلال استراتيجة يتجاوز بها الاسقاطية وفك شفرات النص ليواجه سكوت النص وغموضه، ينتج عنه معنى أدبي جديد ويؤسس رؤية مختلفة للقاريء وعلاقتة بالنص. وذلك من أجل افساح المجال لثنائية النص والقاريء، ثم لتحل الكتابة محل المؤلف ليصبح القاريء منتج لنص وعنصر فعال يشارك في عملية صياغة النص بطريقة ثانوية غير مباشرة.

الكلمات المفتاحية: موت المؤلف– الخطابة السياسية– التسليم– الانكار

Abstract

This research addresses the issue of the death of the author in political speeches, or the attempt to liberate the authority of the text from the authority of the author, and the unlimitedness of interpretation, that is, not limiting the text of the speech to one specific direction and not another. It has become the text of political discourse thanks to modern technology. An open text that carries a linguistic and cognitive reserve that interacts at all levels with the preacher and the receiving audience, to be a partner in the text and his patron without excluding or isolating the preacher. The writing process is no longer based on individual genius, but rather manifests itself in contact with a new, hidden phenomenon that is subject to the conditions of time and place.

Accordingly, receiving the text, reading it in many different ways, interacting with it, understanding it, and interpreting it without the negative meaning of the text; Through a strategy that goes beyond projection and decoding the text to confront the silence and ambiguity of the text, he output a new literary meaning and set a different vision for the reader and his relationship with the text. This is in order to purview the duality of text and reader, and then for writing to replace the author, so that the reader becomes a creator of the text and an active element participating at creating of drafting the text in a derivative, indirect way.

Keywords: Death of the auther – politicial rethoric-submission-denial

المقدمة:

لقد كان هناك تحول كبير في منتصف القرن العشرين؛ حيث بدأت تطرأ تغيرات عدة في جميع مناهج ونظريات الفكر والمعرفة، وظهر على غرار ذلك ما يعرف بـ "سُلطة المؤلف"، أي سُلطة النص. ومنذ ذلك الوقت أُعلن عن "موت المؤلف" بإلغاء سلطة الكاتب وإعلان موته، ليكون التركيز الأساسي على النص ذاته، وأن النص في تركيبه الداخلي مجموعة من الهياكل لعلامات لغوية ورسائل البصرية نجت على شواطئ الفكر واستقرت به.

تتغيا هذه الدراسة فكرة موت المؤلف وطرح نص الخطاب السياسي بعد أن أضيف إليه طبيعة المتلقين وهذا بفضل تكنولوجيا العصر الحديث، وبالتالي أصبح نص الخطاب نصا مفتوحا يتفاعل معة الخطيب دون عزله والجمهور المتلقي العراب له.

قد تم انتقاء الخطابات اختيار مدروسا لا اعتباطي عشوائي، المرتكزة على خزين من الاستراتيجيات التي تدعم وجهة الدراسة. واعتمدت على منهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لهذه الدراسة.

تقسم الدراسة إلى قسمين، القسم الأول هو الجانب النظري حيث التعريف، والدراسات القديمة، والأهمية والعيوب، والعوامل المحيطة. يليه القسم الثاني وهو الجانب التطبيقي حيث خصوصية العينة، وصعوبة الفكرة، والتطبيق عليها، ونقدها.

وأخيرا تأتي الخاتمة التي تضم أبرز النتائج المتوصل إليها، وقائمة المصادر والمراجع.

معنى موت المؤلف:

يبتعد "موت المؤلف" عن المعاني السطحية الظاهرية بمعنى قتله، أو فنائه أو حتى قتل النص الأصلي أو أصل النص، وإنما القصد هو عدم الوقوف كثيرا عند السيرة المحيطة بالمؤلف خلال المعنى، بل يجب المضي قدمًا في التأويل والتفسير من خلال إحياء سلطة العقل؛ حيث التطور الطبيعي لوعاء الثقافة وازدهار الكتابة وإنتاج نصوص جديدة، فعقل القارئ هو مكان تداخل الثقافات واكتشاف فجوات النص.

أن يموت المؤلف يعني أن يتم قطع يده عن نصه لمجرد الانتهاء من إصداره للقارئ، بحيث تنشأ علاقة جديدة بين النص من جهة، والقارئ من جهة أخرى، فلا قيمة للمؤلف في هذا الاشتباك. وكان الهدف هو الوصول إلى أن "ميلاد القارئ لا بد أن يكون على حساب موت المؤلف"[١].

لم تكن فكرة موت المؤلف مطروحة بهذا الاسم من قبل، بل ترجع لجذور فلسفية وفكرية ترتبط بالظروف الموضوعية بداية من نيتشه الذي قال بـ: "موت الإله"، ووجدت هذه المقولة صدى واسعًا في أوساط تتوق إلى تدمير الاتجاه الغيبي في تفسير النصوص، وإفساح الطريق أمام ظهور الإنسان بكل مقدراته البشرية التي يدركها العقل، وما عدا ذلك فهو ميت. "وكان مارليه من أوائل المتنبئين بضرورة إحلال اللغة ذاتها محل من كان مالكًا لها أي المؤلف؛ لأن اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف حسب مارليه"[٢]. أما بول فاليري "فيضع المؤلف موضع سخرية، وأن اللجوء إلى دواخله خرافة"[٣]، ولابد من التركيز على البنية اللغوية لعلم المؤلف وإقصائه منها.

من خصوصية هذه العينة أنها زاوجت بين الإلقاء الشفاهي واستخدام تكنولوجيا العصر، التي كانت محط استخدام لكثير من الخطباء السياسيين. فقد اتخذ الخطباء

من النص الخطابي طابع النقاش المفتوح على الملأ، أو الحوار الخاص مع الجمهور، كأن انقطاعه عن النص الخطابي الموجود أمامه مستحيل؛ إذ إن إلقاء الخطيب لنص خطابه لا ينسلخ فيه عن تفنيد الآراء والأفكار الموجهة إليه من الخطابات المناظرة.

فكرة موت المؤلف غير قابلة للفناء، ووجود الدور الوسيط أكسب مساحات الإبداع مناطق عدة ليجعل المؤلف على رأس هرم نصه. ويدفعنا لمواكبة الطريق دون الحاجة الماسة إلى النظر للخلف والوقوف عند اسم الشخصية وحياتها كثيرًا، لأن سبر أغوار النص بهذا الشكل وهذه الطريقة يتعارض مع النص الخطابي الذي هو نتاج أساسي لكثير من عوامل البيئة والزمان والمكان وتراكم الخبرات المستمر.

في الدراسات القديمة:

ركزت الدراسات النقدية والأبحاث النظرية فترة طويلة على عنصر المؤلف؛ وذلك لما له من دور قوي في بناء العمل الأدبي، حتى أصبح هناك ما يعرف بسُلطة المؤلف. وخضعت تلك الدراسات إلى تغير نوعي يتجه نحو إرساء دعائم التلقي والتأويل من خلال الاهتمام بالعملية الإبداعية، وقد أسهم ذلك في لفت انتباه مجموعة من المنظرين الذين حاولوا أن يجعلوا النصوص منفتحة على القارئ الذي يتم تجاهله في زمن هيمنة سلطة الكاتب وسلطة النص.

وبناء عليه، لابد من قراءة النص بعدة أوجه مختلفة، وترواح الاهتمام بالنص بين التركيز على المتلقى من جهة والنص ذاته من جهة أخرى بعيدا عن الخلفيات المرتبطة بسيرة المؤلف وخلفية اجتماعية وسياسية ونحو ذلك. وفكرة تلقي التعبير وتأويله لا يعنى استقبال المعنى السلبي للنص أي خنق تأويلاته بدلالات أحادية، إنما التفاعل معه وفهمه من أجل تأويل معنى يجذب انتباه إلى النص وما له من إشارات وإيحاءات نفسية وعقلية.

فالبداية الحقيقية تعمد إلى التركيز على نقد التلقي، بل وطرح منهج وآليات جديدة لتأسيس آفاق في مجال تأويل النصوص الأدبية وإظهار اهتمام أكبر بالقارئ، بداية من تحويل مسار مدارس النقد التقليدية؛ لإنتاج المعنى الأدبي المرتبط أشد الارتباط بعلاقة التجاوب والتفاعل التي تتم بين النص والقارئ من خلال مناقشة فكرة القراءة والتأويل من أجل تأسيس رؤية مختلفة لنظرية التأويل والتلقي وبيان مدى رؤية ودور القارئ وعلاقته بالنص الأدبي؛ لتسليط الضوء على فكرة الاهتمام بسلطة القارئ، بدلا من الاهتمام بسلطة المؤلف وسلطة النص ذاته.

أهمية التركيز على موت المؤلف، وعيوب ذلك:

تهدف هذه الفكرة إلى تحرير النص، فهي تفتح النص للقارئ، فالقارئ هدف أولي للنص، وتزيح المؤلف إلى مرتبة متأخرة للغاية، وربما لا يحضر. و"استدعاء المؤلف لحضور حفلة زفاف النص إلى قارئه لمباركة هذه العلاقة الجديدة، وينظر الولادة الآتية فرحًا لابنه"[٤].

موت المؤلف إذن لا يعني فناءه ولا نهايته، بل فتح النص على الخلود. كما يفتح المجال لنصوصية النص لكي يدخل الأخير إلى آفاق إنسانية عابرة للزمان والمكان؛ حيث يأخذ النص مداه مع القارئ ومع التاريخ، وهذا معناه الاستقلال عن سلطة المؤلف.

ومن ثَمَّ فإن المؤلف الأكبر للنص هو الموروث الذي يشكل سياقًا مصدريًّا ومرجعيًّا للنص مثلما شكل أساسًا لفهم النص وتفسيره بعد أن كان مصدرًا لإنتاجه وحدوثه، وهنا يلفت الانتباه إلى علاقات التبادل ما بين النص كإبداع ذاتي والموروث كعطاء ماثل ذي وجود سابق على النص ولاحق به ومحيط بكل تحولاته، لينتهي إلى نوع جديد من التحليل. "فإن نسبة النص إلى مؤلفه معناها إيقاف النص وحصره وإعطاؤه مدلولًا نهائيًّا، إنها إغلاق الكتابة"[٥].

العوامل المحيطة بالنص (التناص):

كل نص هو تناص بمعنى مجموعة نصوص أخرى موجودة فيه، ومن ثَمَّ لا يوجد نص أصلي، بعكس النظرة القديمة لمفهوم النص، وذلك من خلال عملية استيعاب بالغة الذكاء؛ ليصبح النص يعني أكثر مما يقول، وينسف كل المعاني الممكنة عن طريق المعارضة بنسف التقاليد؛ والتي في تحجرها تخفي أصل الأشياء، فالنص أفق يبتلع العالم كله، ويتحول إلى مكتبة عالمية ينفتح أمام تأثيراتها في استخدام اللغة والمجاز والموضوعات والأصداء حتى تصبح مدلولًا مراوغًا لعلامات هي ذاته.

"فالنص كما يصفه إيكو هو: نسيج من المرجعيات المتداخلة فيما بينهما دون ضابط، ولا ترتيب، والتأويل لا يروم للوصول إلى غاية بعينها، فغايته الوحيدة هي الإحالات ذاتها"[٦]. فالنص له ديمومة الحياة والمؤلف له ديمومة الموت. والتناص – شأنه شأن النص نفسه– لا وجود له، لكنه يحدث داخل وعي القارئ، ودون وعي ذلك المتلقي، الذي يحمل شفرات بقايا وآثارًا وشذرات النصوص التي تضم كل ما كتب بالفعل، فالنص جزء من كل ما تمت كتابته.

ليكون القارئ هو الركن الثالث الذي يحتاج إلى تركيز جيد وثقافة لا بأس بها وقدرة على عملية فك شفرات النص الأدبي وسبر أغواره، وكشف معاني الجمال موضع الإبداع بالنص، ومن ثم الوصول إلى قراءة تكمن فيها لذة النص أي قراءة شاعرية للنص، متجاوزًا بذلك القراءة الإسقاطية للنص، فموت المؤلف هو نتيجة ميلاد القارئ. وقد"جعل إيكو للقارئ النموذجي استراتيجية في عملية التأويل فهو لا يباشر النص وهو خاوى الذهن، بل يباشره وهو يحمل إستراتيجية قرائية يواجه بها سكوت النص وغموضه"[٧]

ونتيجة لذلك فقد تحوَّل القارئ إلى منتج للنص وعنصر فعال يشارك في عملية صياغة النص ولو بطريقة ثانوية غير مباشرة، وليس مستهلكًا لغويًّا للنص، فهو يركز في معادلته على القارئ باعتباره المبتغى والغاية المقصودة من وراء كل نص مكتوب بلا أدنى ريب، فهو غاية الكتابة، وبغيره يصبح النص معدومًا أو لا فائدة تذكر من كتابته أصلًا.

خصوصية الخطاب السياسي:

لم يكن طرح الخطاب السياسي من العدم، ولا نبدأ الاستماع إليه من النقطة صفر، لكنه يهبط على آذان مشبعة بخطابات سابقة وقلوب وعقول محفزة مسبقا. ويقول بارت: "إقحام الكاتب في النص يحد من رؤية القارئ وقدرته على التأويل في الحالة الأكثر تشظيًّا له"[٨]. غير أنه في الخطابات السياسية عموما وخطابات هذه الفترة الملتبسة لا نستطيع أن نخرج عن خلفيات تتفق بمن يلقى الخطاب وسطوة حضروه السياسي، وتاريخه الحافل بالتأثير، فقد رأى بارت أن: "وحدة النص لا تكمن في محطة انطلاقه، بل في محطة وصوله"[٩].

يقول بارت أيضًا: "اللغة هي الكيان الأهم في النص، وهي الشخصانية المنوطة بالتحليل والتفكر"[١٠]. وفي العصر الحديث تعززت فكرة تفنيد صلاحية الأنا بالخطاب، بمعنى أن النص اللغوي في الخطاب السياسي ليس العنصر الوحيد فيه، فقد يضاف إليه طبيعة المتلقين، فضلا عن الظروف السياسية والعسكرية المحيطه به، وهو ما قد يبدو– سريعا– في هتافات أو تصفيق أو غير ذلك.

أ. دور الوسيط (التليفزيون، الراديو...)

هذا وقد أحدثت الوسائل التكنولوجية الحديثة نوعًا جديدًا من الصراع بين نصوص الخطاب نفسها، وهذا زاد من صلاحيتها؛ وذلك لسرعة إذاعة الخبر ونشره عبر المحطات التليفزيونية، إذن الصراع القائم هنا ليس صراع حرب، ولا صراعًا بين

أشخاص الرؤساء، ولا صراعًا مع الجمهور، ولا صراعًا بين نصوص الخطابات ذاتها، إنما هو في الأصل صراع فكري سلطوي من الدرجة الأولى، لا يصح الاستناد فيه للعاطفة أو حتى المزاجية، بل لابد من استخدام وتحكيم سلطة العقل أولًا. وتؤيد هذه الحالة بشكل عام ترسيخ فكرة موت المؤلف في النص الخطابي.

فقد حققت تكنولوجيا العصر هذا الاتجاه الأخير من خلال خصوصية الخطاب السياسي شكلًا جديدًا للنص المفتوح، في هيئة خطاب يحمل طابعًا معرفيًّا متناسقًا ومتبادلًا مع الجمهور، ونص يحمل مخزونًا لغويًّا ومعرفيًّا يتفاعل على كل الأصعدة بالنسبة ذاتها مع حالة الخطيب، فأصبح الجمهور المتلقي شريكًا في النص الخطابي، وعرّابًا له، دون إقصاء الخطيب أو عزله. ونستنتج من تدرج الهدف القديم والأثر الحالي له، إثبات السلطة العليا للغة وفكرة اللامحدودية في تأويل النص، فلا نريد حصر الخطاب في اتجاه معين دون غيره.

إن بنية الشكل الخطابي وعدم خنق تأويلاته بدلالات أحادية، يفتح الباب والنوافذ على احتمالات متعددة من الصياغة والتحليل، وتفاعل الجمهور على النقيض الآخر اتفاقًا واختلافًا، بين مؤيد ومعارض، جعل نص الخطاب في إطار إبداعي محكم من حيث (الجمهور المتلقي – الرئيس – ونص الخطاب ذاته). وتكون النتيجة عند حذف أو عزل أي طرف منهم هي العودة إلى خط مستقيم، أي سطر وحيد بلا انزياح، ومن ثَمَّ موت الإبداع.

ب. الفرق بين النص والخطاب

فالنص هو المتن اللغوي أما الخطاب فهو النص في حالة تحوله من متن لغوي إلى حدث تواصلي؛ أي في حال إنتاجه، وتداوله، وتلقيه والاستجابة له في فضاءات واقعية أو افتراضية. وتُنتج استجابات وتأويلات لها، فإنها تصبح في هذه الحالة خطابًا.

هذا، وتظهر شخصية الخطيب في النص من خلال رسالة يعمد راغبًا إلى إيصالها للعالم، وليس بالضرورة أن يجتهد الجمهور المتلقي في البحث عنها والاستدلال عليها، فإحدى مكوّنات العمل الإبداعي أو المنجَز الفني أن يظل الجمهور في حالة تأويل مستمر متجدد للمعاني والمصطلحات داخل النص الخطابي. إن معظم الخطابات هي محاولات مضنية ودؤوبة لسيطرة كل طرف على زمام الأمور، تستند فيها على عوامل تاريخية وحماية المصالح المشتركة وبث السلام العالمي دون اللجوء إلى ظلال تفسيرات بينة القصد، بل في كثير من الأحيان تجد الحاجة إلى خلق قطيعة لفرض أقماع تحت ستار الإبداع.

أما عند الانغماس داخل النص الخطابي، فأول ما يتبادر إلى الذهن هو تحليله من خلال بنيته اللغوية وتفاعله مع الخطابات المضادة له، لا البحث عن علاقة مفترضة بينه وبين قائلة الذي انتهى دوره بمجرد أن قدم عمله إلى العالم. وبالرغم من أن هذه الأفكار تحمل في طياتها التجديد والابتكار بشكل متناقض فإن البعض أضفى عليها أبعادًا فلسفية وأخرى موضوعية ونظيرتها النقدية.

وحول «موت المؤلف» كانت هناك خطابات كثيرة تحمل روح استقلالية النص بمعزل عن تحجيم دور الطرف الآخر، إلا أنها تتعدى حدود التقنين والتقيد بفرض السيطرة بشكل عملي وسحب فكرة التطبيق –وإن كان شكليًّا صوريًّا– من خلال استغلال وتصدير مجالات بعينها شكلت تطبيق فكرة الشروع لحرب الغزو.

إن الكثيرَ من المناوشات والمناورات صاغها الخطاب السياسي على ساحة الأزمة بشكل متجدد في تسلسل خطابي واحدًا تلو الآخر، والتي عمد فيها الخطيب إلى عرض شرح تفصيلي لأحداث الأزمة وأسبابها ومبرراتها، ثم تليها الغاية والمراد من هذا، إلا أن دور جمهور المتلقي لم يحدَّد أو يوجَّه من قبل الخطيب إلا في حالة

واحدة وهي عند المصلحة العليا، وذلك تحت ستار الخروج من سلطة النظام إلى رحاب سلطة تأويل كل فرد على حدة.

فالكثير من المناقشات حول فكرة النزاع والصراع كانت هي تلك الخطوة الفلسفية الناجحة على كل الأصعدة للفت الأنظار حول القضية، وبموجبه كان الاهتمام بالنتاج الخطابي نفسه لا أصحابه؛ حيث وقع تحت دائرة الضوء كما يجب أن يكون. وإن تجاهل وجود فكرة الشخص القائم على النص الخطابي من أهم العوامل في إعادة تأويل وتحليل ما تسطره شذرات العبارات واستعاراتها وأبعادها المجازية، باعتبار أننا أمام اختلاف جوهري ذي طبيعة يحاكم فيها النص محاكمة من الدرجة الأولى نسبة لقائله.

ج. دور الجمهور

الخطاب السياسي يتضمن طابعًا دينيًّا يكسوه توجه الإمام وطائفته، ويحاول مخاطبة العقل الباطن للجمهور بما هو موافق لآرائهم وفهمهم للسياق الديني بتأكيد ما وصل إليه. فلا يعبئوا أو ينشغلوا بما يقول؛ لأنه الإمام الجيد والمبدع لنصه المحكم. فهناك منجزات خطابية يتم استقبال أثرها والحكم عليها من خلال الربط بين نشوب الصراع وذيوع ذيول الأزمة وتغلغلها في المجال السياسي للوضع الراهن.

حيث تحرص الجماهير فيه أكثر على سبر أغوار السيرة وفرضية تتبع أحوال الحرب مع محاولة التلصص على النقاط المتعاكسة في ظاهرها وإن كان جوهرها التشابه، فإشكالية عموم ربط حياة الشخص القائم على الخطاب ونصه هي التجربة شخصية ومشاركة شعبه شعورية الحدث وتطورات الأزمة، مع توجيه العقول إلى طريقة التُّعامل إن كان هذا كل البيان المقصود.

مما لا شك فيه أن هذه التعقيدات يعاني منها الفكر العربي المبدع، وتلاحقه بشكل أكثر إزعاجًا وكثافة، وما إن يقدّم نصًّا فيه شيء من الشعورية حتى يتساءل

مجموع المستمعين والنقاد عن توجه هذا النص لشخص معين دون غيره. وهذا الأمر قد يصل في بعض الأحيان إلى درجة الملاحقة والتضييق على من لا يتحلى بالقوة الكافية لاحتفاظ بمسودات مخبأة خاصة. وقد يشجع كل ما سبق لإعادة الاهتمام بصيحة موت المؤلف، وذلك من خلال المعنى الفلسفي الذي يرى بشكل قد يكون غير مستساغٍ أن اللغة هي الأمر الوحيد الجدير بالاهتمام، بمعنى التخفيف من انشغالنا بكل ما هو خارج إطار النص كخطاب، ومنح وقت أكبر للتركيز على تفاصيل تلك السطور ومحتواها.

إن تصوَّير النص الخطابي لفكرة إدارة القوة يجعل من النص عالمًا متكاملًا، يقع تحت سيطرة الجمهور، ومن ثَمَّ يفسره كيفما يشاء، ويعيد تأويله وتَلقِّيه بإمكانياته الذاتية، من دون دعم خارجي أو عونٍ من قوى عليا. ووضع المؤلف في الصدارة، وجعله وحده القادر على سبر أغوار النفوس البشرية؛ بما يمتلك من موهبة العرافة والتنبؤ، وبإمكانه أيضًا أن ينقذ المتلقي من أي مأزق يقع فيه إذا اتَّبع نصائحه، فهو العليم ببواطن الأمور.

وقد جعلت الخطيب شاهد العيان الوحيد الموثوق في شهادته، فهو أصدق من يرى الواقع، وأفضل من يصفه ويحلله، ليتحول إلى مناضل حينًا، وفيلسوف أحيانًا، ومحلل نفسي بإمكانه أن يأخذ بأيدي المتلقين إلى عوالم أفضل وأجمل، ومن بعدها تأتي الحداثة ومرحلة ما بعد الحداثة مادةً دسمة للبحث النقدي من المفكرين والنقاد.

إن الخطب التي أُرجع فيها كل الدوافع الإبداعية لدى الخطيب العبقري إلى شطحات راسخة ومتأصلة في الوعي الباطن، وكانت التعبيرات الاستعارية إسقاطًا للذات على الموضوع، والإبداع عملية نفسية تقوم على تحويل المشاهد الراهنة التي تستقر في اللاشعور لموضوعات خارجية قابلة للتأويل والتأمل، فهي جدلية وقائمة على التفاعل والتأثير والتأثر، ما يعني أنها انعكاس للواقع والمجتمع.

صعوبة قول موت المؤلف:

بحسب التفسيرات التاريخية لعملية كتابة النص، فإن القارئ يقوم بتفسير النص وكتابته مرة أخرى بالقراءات المتعددة، وتلك القراءات لا تستوجب علمًا كاملًا أو توجّهات، بل تكتفي بقراءة النص بتجرّد، بعيدًا عن كل تلك التأثيرات، وبحضور المؤلف المستمر كفاعل وليس كضيف مدعوّ.

أ. استقلالية النص

ففكرة وجود ظل مصاحب لنص قد تحرر من سلطة المؤلف، فإن الربط بين النص وكاتبه من ناحية، والنص والكاتب والمجتمع من ناحية أخرى، يظهر الشكل الأدبي لقراءة النص الأدبي بمعزل عن الواقع والمضامين، كبنية مستقلة بذاتها يجب عند قراءتها تحليل لغة النص وفك شفراته والعلاقات التي تربط بين أجزائه؛ مما يؤكد أن اللغة هي التي تخاطب الجمهور ليس قائل النص.

مثال ذلك باعتبار أن اللغة هي الأم التي تحنو على صغيرها "النص"، فتهون عليه أثر المعنى، نجد أثر كلمة "النكسة" ساعة الحرب حيث تظهر هنا فكرة موت المؤلف.. موت الكلمة.. موت المعنى، أي حصره في شيء واحد فقط. كلمة هزيمة لم تستخدم لأنها فقدت معناها بالقبول والإقرار بالهزيمة لتذهب إلى معنى وشكل آخر هو النكسة من الانتكاس والعودة مرة أخرى دون الخضوع.

لذلك فإن المؤلف يجب أن يغيب في تحدٍّ واضح للقيم التقليدية في الدراسات النقدية، أو كما أراد إليوت الذي يقول: "النص ليس تعبيرًا عن المؤلف، بل هو هروب وانفلات". وأنّ النص من الآن فصاعدًا على كل مستوياته وبجميع أدواته، منذ صناعته حتى قراءته، يغيب فيه المؤلِّف غيابًا كاملًا.

قد تحدث بارت عن فرضية استقلالية النص، التي غيّر فيها اسم المؤلف إلى كاتب، فالنص في حد ذاته مستقل تمامًا عن مبدعه؛ لأن عند انتهائه من كتابة النص يقع كل العبء على عاتق المتلقي في عملية التحليل والتأويل، كعبء اقتناص

المعنى في تعدديته واختلافه، وبهذا يصبح المتلقي مشاركًا في عملية إنتاج النص. ولم يعد دور المتلقي يقل أهمية عن دور الكاتب، ولا يمكن فصل عملية القراءة عن الكتابة؛ فهما متلازمتان.

ليكون الجمهور هنا هو من يقرر معنى النص من خلال استرشاده بالعلامات التي يستخدمها الخطيب، لكنه لا يتقيّد بها ويمكنه أن ينتصر لمعاني ذاته الخطابية، كالمعنى الحاضر في ذهنه، ويصاحبه تغير وتعديل مستمر بشكل يومي، كأن النص المنقود مفقود.

ب. المؤلف (الظاهر– الخفي)

لم تعد الكتابة قائمة على العبقرية الفردية، ولكنها تتجلى باحتكاك مع ظاهرة جديدة خفية تخضع لظروف الزمان والمكان، وهذا ما دفع مؤيديه إلى اعتناق مذهبه أدبيًّا رسميًّا. "في العصور اليونانية القديمة كان يقوم محترفو كتابة الخطب بتأليف خطب بعض السياسيين اليونانيين مقابل أجر. وقد أدى هذا الازدهار إلى نحت تسميات للقائمين بها؛ فأُطلق على الشخص الذي يقوم بكتابة نص لكي يقوم شخص آخر بإلقائه دون إشارة إلى مؤلّفه الأصلي الكاتب الخفي. أما النصوص التي يكتبها شخص – أو أشخاص – ليلقيها شخص آخر تُنسب إليه، فيُطلق عليها الكتابة الخفية"[١١].

أما في منتصف القرن العشرين كان المؤلف الخفي من أهم ظواهر الاتصال السياسي، فهو الشاهد الوحيد على وقائع مشروع كتابة الخطاب السياسي وسرد تفاصيل النقاش بينه وبين المؤلف الظاهر. كل هذا قام بدوره في إزاحة الهالة المركزية حول المؤلف الظاهر، لتجعل من شخصية القائم على الكتابة لبنة أولية في نمط التفكير.

تبدو مسألة الكاتب الخفي ذات حساسية خاصة؛ وذلك لأنه لا يُمكن الادعاء بأن هذا الخطاب يمثل مؤلفه بقدر ما يمثل مؤلفه الأصلي؛ ويبدو هذا صحيحًا تماما لأن أية محاولة لاستخلاص سمات الأسلوب الخطابي لمؤلفه الظاهر استنادًا إلى الخطب المعدة سلفا سوف تواجه بمشكل الكاتب الخفي. ومسألة الكاتب الخفي ذات تأثير إيجابي لا سلبي في الخطاب السياسي، المؤلف الخفي ليس جزءاً من لسان السلطة، بل جزءاً من قلبها وعقلها ويدها أيضا. كما أن المؤلف الظاهر والمؤلف الخفي يشتركون في النقاط الرئيسية في الخطاب وتكون هناك مناقشة في صياغة الوقت العصيب وتحديد نقاط التلاقي الواضح بين الأفكار واختيارات، ولا مانع من وجود اختلاف فيما يسطره المؤلف الخفي مع المؤلف الظاهر في المسائل المحورية كالتعبير عن مدى المسئولية، وفي هيكله الحجج وتفنيدها.

حيث يميل المؤلف الظاهر لإنتاج البلاغة المباشرة وقول الأشياء بأوضح الطرق، أما المؤلف الخفي يميل إلى بلاغة المرواغة تلك التي تُكني وتُلطف وتخفي أكثر مما تصرح، وفي كثير من الأحيان ينحاز كلاهما لبلاغة المرواغة في نهاية المطاف. "ويشير تعريف التلطيف اللفظي إلى تأثر إدراك البشر بواقع التعبيرات الملطفة، وذلك انطلاقا من تصوّر يرى أن اللغة التي نستخدمها تصوغ إدراكنا للعالم بنفس القدر الذي تكشف عنه. كما يفترض التعريف أن التلطيف اللفظي يحدث في حالة إمكانية وجود أكثر من تعبير، أو تسمية للإشارة إلى شيء واحد، أحدها يُقدِّم الشيء «كما هو»، والآخر يُقدِّمه «ملطَّفًا»، والثالث يقدِّمه «مهولاً»"[١٢]. فتكون أول خطوة في طريق النصر أو الهزيمة تحويل صياغة الكلمة ودلالة استعمالها، لتكون غامضة غير محددة من ثم تصبح منفتحة أمام التأويل وهذا يتناسب مع الممارسات الخطابية وحالة التضارب بين ما تتناوله وسائل وأجهزة الإعلام وكذلك الإذاعات الدولية. يقوم المؤلف باختيار كلمة بعينها دون غيرها في لحظة الخطر

لما سيترتب عليها، في حين يري المؤلف الظاهر الكلمة الحقيقة أفضل لأن استخدام البديل دوما يعني إخفاء الحقيقة أو جزء منها، في حين الاعتراف بالحقيقة له تباعات لا يمكن تحملها.

التطبيق على الخطبة:

"الخطب المكتوبة فقيرة علاماتيا نفقد فيها قدرا كبير من الإمكانيات والطاقة في تحليلها، عكس الخطب الحية فهى زخر من علامات لغوية وغير لغوية بداية من الكلمات لصوت لحركات وإشارات وهيئة المؤلف الظاهر ومكانة من جمهور لحظات صمته وسكوتة ونظرات عينيه وحضوره الجسدي"[١٣].

ومما يدل على براعة المؤلف الخفي التي لا تقل عن براعة المؤلف الظاهر هو خلق نوع من الحوار بين الجمهور المتلقي والمؤلف الظاهر، فيضيف إلى النص المكتوب الذي أعده المؤلف الخفي.

كاستخدام عدة مصطلحات عسكرية كالمتعارف عليها من تعبيرات استراتيجية التهوين **(حارس البوابة الشرقية)** حيث الاتكاء على التاريخ الاستعماري من خلال التناص ليشكل وعيا مضيئا ويخلق مساحة الأمل الواسع في النصر وحفر ذاكرة التاريخ. واستراتيجية التهويل **(دكتاتور، هتلر، النازية، الظلام العثماني)** حيث دلالة الظلم وتجاوز الحد محملة بقيم أخلاقية سيئة والأخذ على غرة والاعتداء على الطرف المسالم. واستخدام فكرة التبشير **(سفر القادسية الخالد)** بالقفز على نتائج الحرب أو النص في الخطاب ليستفيد من حيل التلطيف اللفظي ومهارات التلويح بالمستقبل **(يوم الأيام وبيان البيانات)**. وهناك استثناء لكلمات تجمل الواقع القبيح، واللغة التي تهون ما يؤلم في الواقع، كل ذلك من أجل الحفاظ على عزة وكرامة الجمهور، ولتحقيق أكبر قدر من التضامن والمساندة بين الجمهور المتلقي والمؤلف الظاهر.

نجد هنا قول الرئيس صدام في خطابه رسالة إلى العراقين: كان الذي كان في الثاني من

أغسطس لابد منه، لكيلا يطرد الموت الحياة، لكيلا يجر الانحدار إلى الحضيض إليه، ليكلا ينتقل الفساد والابتعاد عن الله إلى الكثرة)

أ. الضمير (نحن)

"فكرة الضمير (نحن) أكثر الضمائر الشخصية مرواغة في الخطاب السياسي والذي يتسم بالكثير من الغموض والانفلات والزئبقية "[١٤]. وله مهمة حاسمة وهي ارتداء قناع التضامن في وقت بدأت تتكشف فية أبعاد الحرب قبل أن تعصف الثقة الجمهور المتلقي في المؤلف الظاهر. **لنجد قول الرئيس بوش في خطاب إلى الأمة:**

بعد غزو العراقي طلبت بفرض حصار، وأعلنا الحصار.

"كل زعيم يحتاج إلى حرب عادلة لكي ينتصر فيها ويحفر اسمه في التاريخ"[١٥]، حيث يتم استحضار اسم المؤلف الظاهر ووضعه في صدارة النص، كل تلك الارتباطات الهائلة يستدعيها المؤلف الخفي ليحفر اسم المؤلف الظاهر في ذاكرة الجمهور، وهو ما يسمى بالأيدلوجية الخاصة التي تعكس الوضع المركزي داخل النظام. "والعراق وضع نفسه موضع الخطر المطلوب والعدو الذي يبحث عنه، لأن الحروب يصعب اختراعها من الهواء"[١٦]. **ونجد هنا قول الرئيس بوش في خطابة: الحرب في الخليج الفارسي ليست حربا نصرانية ولا حربا يهودية أو إسلامية ولكن حرب عادله.**

في النهاية نصل إلى أن غموض الكلمة وتعدد دلالتها تحولت لمناورة خطابية داخل النص نتيجة لحرص السياسيين في كثير من الحالات على عدم تحديد مرجع دقيق لها. ومن هنا تتحقق الوظيفة المحورية للخطاب السياسي المعاصر اذ تسعى كل سلطة سياسية مسيطرة إلى احتكار التحدث باسم الجماعة التي تحكمها؛ وهو ما يتيح لها تقديم مصالحها وأهدافها، بوصفها مصالح الجماعة بأكملها وأهدافها. كما يُحقق غيابُ المرجع وظيفةً إيهام الفاعل؛ حين يكون العمل المنسوب لـ (نحن)

آثاره سلبية يسعى المتكلم للتنصل من مسئوليته الفردية عنها، فيستعمل (نحن) العامة التي تُحمل المسئولية للجميع على النحو الذي يتجلى بوضوح في نص الخطاب نفسه بضم ذلك. "ألحت حقيقة أن كل لغة عقل متميز وكل ثقافة تعبير خاص"[١٧].

اختلاف طريقة نطق الكلمات في العبارات بما يتناسب مع حال الموقف هي إحدى العوامل المحيطة بالنص أو بداخله يكون هدفها إنتاج رسالة للمتلقي وتلك الرسالة هي نص مستدرج بالإضافة لكونها نصا محتشدا بالعوامل المقصودة وبالتالي الجمهور يتفاعل مع النص وبالتالي سيكون هناك إضافة للنص الخطابي من الجمهور. ويعني هذا أن المؤلف الظاهر (الرئيس) يكون في تلك الحالة هو المتلقي والجمهور هم كتاب النص أي المؤلف ذاته. "البعض قد توقع لوما وقد جاءه، والبعض توقع تأديبا وقد ناله"[١٨]، حيث "رفض استخدام تعبير استخدام القوة وصياغته بطريقة أكثر رقة واستخدام كل الوسائل الضرورية لتحقيق تنفيذ قرار مجلس الأمن"[١٩]. "فاستخدام (كل) تحديدا نعرف تماما ماذا تعني العبارة ونحن نوافق على ما تعنية"[٢٠]. **نجد قول الرئيس بوش في خطاب إلى الأمة: بعد مشاورة دولية لانظير لها واستهلاك كل البدائل الأخرى. وأيضا أمريكا لا تتهاون في استخدام كل الوسائل الضرورية.**

ب. دور المؤلف الخفي

المؤلف الخفي يجعل من بلاغية النص الخطابي نص مستدرج نص محتشد بعوامل بلاغية مقصودة، أي كل ذلك في أصلة وسيلة ناجحة للاستحواذ على انتباه المتلقي الذي بدوره يتفاعل مع النص ويضيف إليه تمهيدا لما يليه، عند إذن تكون فكرة الجلوس تمهيدا للتحدث والتحدث تمهيد للمصارحة، "رئيس موسكو: وهو يتحدث عن التفكير الجديد، غزو العراق للكويت يتنافى مع التفكير الجديد"[٢١]. **ونجد هنا قول الرئيس بوش في خطابه إلى الأمة: لقد نجحنا اليوم في محنة الحريات، إننا بدأنا حقبة**

جديدة هذه الحقبة قد تكون واعده في عصر الحرية ووقت الحرية لكل الشعوب. المؤلف الخفي هنا حريص أن يجعل النص محبوكا بفخ الاستحسان للاستحواذ على انتباه المتلقي، فيقوم باستحضار سلسلة ثنائيات خلال نص الخطاب السياسي المصاغ بعناية شديدة، كل هذا يستهدف انتباه المتلقي واستحسان وهي نفس غاية المؤلف الظاهر.

يحرص المؤلف الخفي على حشد النص الخطابي بأكبر قدر من أساليب استحسان البلاغي ليقع الجمهور في فخ أساليب الاستحسان البلاغي الذي يكشف عن إعجاب فادح بالنص والخطيب معا من قبل المتلقي من الجمهور، والمؤلف الخفي حريص على أن يجعل المؤلف الظاهر يظهر بمظهر المتمتع بالمهارات البلاغية وتحديدا على مد الجسور بين المتلقي والمؤلف الظاهر من خلال استعمال ضمائر الخطاب والمتكلم ولمحات الفكاهة والسخرية استنادا إلى معجم المفردات الحياة اليومية، وأهم نقطة هي براعة الحكي عبر توجهات سياسية تتماشي مع أحلام المتلقي. **نجد قول الرئيس بوش في خطابه إلى الشعب الأمريكي: إننا نتطلع إلى إقامة نظام عالمي جديد قائم على القانون، قانون ليس قانون الغابات وسوف ننجح في ذلك.**

المؤلف الخفي حريص على أن يجعل المؤلف الظاهر من خلال النص بتدعيم تأثير النص الخطابي في المتلقي من الجمهور، ويلعب المؤلف الخفي دورا مهما في جعل النص وكلماته والخطيب وأسلوبه وطريقة أداءه التأثير في مختلف الجماهير عبر العالم. تلك البلاغة التي صاغها المؤلف الخفي في النص الخطابي شكلت وأسهمت في توليد مفردات وتراكيب ومجازات كانت محصلة بلاغية لغوية أتاحت بناء النص من جديد. "منطقة الخليج هي المنطقة المؤثرة مباشرة بالقرن الواحد والعشرين وعلى أرضها يتقرر شكل القرن وهويته"[٢٢]. **نجد قول الرئيس بوش في خطابه إلى الأمة: كانت إرادتي كما كانت مع كل رئيس من الرئيس روزلفيل حتى الرئيس**

ريغان ملزمة بأمان واستقرار الخليج العربي الفارسي. وأيضا قول الرئيس بوش: لقد نجحنا في محنه الحريات في أوروبا، وإبقاء السلام في الشرق الأوسط يتطلب المثل.

ج. التسليم والإنكار

من المهم معرفه تلك الأبعاد البلاغية التي أسهمت في تحليل الجمهور والإضافة للنص الخطابي، بمعنى أن المؤلف الخفي صمم النص في الحقيقة ليجلب استجابات من الجمهور المتلقي لتضيف إلى النص ومعناه، فكانت اللغة نفسها داخل الخطاب متمثلة في الأبعاد اللغوية ومنسجمة مع ما تعنيه من محصلة الخطاب وأبعاده.

(الغزو العراقي/ اجتياح الكويت) يعني النية والشروع في الإقدام قفزة إلى الأمام على طريق الكارثة، والأصح أن تكون الخطوة إلى الوراء. حرب الكلمات تحولت لحرب أعصاب وفي كثير من الأحيان تتحول إلى حرب كراهية والتي تتحول بدورها إلى حرب دم، وبالتالي نصل للنهاية التدمير الشديد ويكون التراجع والانكسار شبه المحقق والأكيد. والوصف بأنها أزمة يعني حدوث مواجهة بين العراق والعالم أجمع، "السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط هي محاوله لإرث تركة رجل مازال على قيد الحياة"[٢٣]. "مصالح السياسة الأمريكية يتوقف عليها قرن الواحد والعشرين يعني على القرن أن يكون أمريكا أولا"[٢٤].

"برقت فكرة الغطاء العربي الإسلامي وأشار بها صاحبها للرئيس الأمريكي لأن ثقافة مؤلفها تحمل المواريث العربية حيث غطاء يأمن الظهر وأجنابة. بمعنى هناك حرج كبير أن الجانب الأمريكي المسيحي يحمي ويدافع عن بلد عربي مسلم ولكن لو الجانب الأمريكي كان في إطار أوسع ويشارك العرب والمسلمون هتكون المسألة مبلوعة"[٢٥]. **ونجد هنا قول الرئيس بوش في خطابه إلى الأمة: بعد التشاور طلبت المملكة السعودية لمساعدتنا واستجبت بأمر القوات الجوية والمشاة بالتوجه للمملكة العربية السعودية وينبع من العلاقات الصديقة القديمة وكذلك الصلات الأمنية بين الولايات**

المتحدة معا والجيش السعودي والأمم الأخرى للحفاظ على المملكة ومنع العدوان من خلال وجودهم وتدريبهم.

القرارات الاقتصادية الكلمة التي صدرت في حق العراق أشبة (بالقميص الحديدي المحكم)، وفي حالة قرار وقف الصادرات هو ما وصفه الرئيس العراقي (الخنق البطيء). **لنجد قول الرئيش بوش في خطاب إلى الأمة: بعد غزو العراقي طلبت بفرض حصار، وأعلنا الحصار. أتعهد هذا اليوم أن الولايات المتحدة الأمريكيه ستلزم دورها من تنفيذ تلك العقوبات. وقول الرئيس صدام في نص الرسالة المفتوح لكل من بوش وجورباتشوف قبل انعقاد قمة هلنسكي: تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن بقرارات أكثر إجحافا ضد العراق في إجراءات الحصار. وقول الرئيس بوش في رسالة وجها لشعب العراقي: الأمم المتحدة فرضت عقوبات، ليست لمعاقبة الشعب العراقي، بل وسيلة لإقناع قيادتك بالانسحاب من الكويت. وقول الرئيس بوش في نص الرسالة إلى رئيس صدام أذاعها البيت الأبيض: هناك ١٢ قرارا من مجلس الأمن عقوبات اقتصادية مفروضة على العراق.**

أما بخصوص إعلان (الكويت المحافظة التاسعة عشر) فهو لتحفيز الجنود واستعدادهم بأن يعطوا أرواحهم فداء ودفاع عن أرض هي جزء لا يتجزأ من تراب العراق وهنا الأمر يختلف، أي في حالة عدم إعلان ذلك فإن الجنود لن يكونوا على استعداد ليعطوا روحهم فداء بلد غير بلدهم. **وقد جاء هذا التصريح في بيان مجلس قيادة الثورة في العراق في شأن الوحدة الاندماجية: وضع الأمور في نصابها الصحيح، فقد قرر مجلس قيادة الثورة إعادة الجزء والفرع إلى الكل والأصل بوحدة اندماجية كاملة أبدية لا انفصام لها، تسود فيها نفس المفاهيم والقيم التي تسود في أجزاء العراق الأخرى.**

التصريح بعملية (عاصفة الصحراء) برسم خطا على الرمال أحدث حالة من الحيرة وأسئلة ماذا يعني وأين يقع وهل هي خريطة جديدة للمنطقة، فهذا الخط على

رمال يستكمل المسيرة وهذا التصريح قدم انطباعا واضحا وصريحا بأن القمة العربية والدول تمشي على هذا الخط دون الحيود عنه. **نجد قول الرئيس بوش في خطابه إلى جمعية الضباط الاحتياط: يسرني أن أبلغكم أن عملية عاصفة الصحراء تسير حسب البرنامج الموضوع.**

مصطلح (الأبواب المغلقة) تعني باب الأمم المتحدة وباب الاتحاد السوفيتي والباب الألماني والياباني والباب الفرنسي الدول الخمسة التي أغلقت بابها في وجة الجانب العراقي وأدانته لغزو واجتياح الكويت. في حين كان هناك باب مفتوح (الباب الإيراني) حيث التعامل مع الموقف بكل مرونة والتي تقضي استغلال كل مواقف التي ترسمها من خلالها تحركتها وفق تقلباتها، وهذا الباب أعطى نفسه حق الشروع في الفتح والقفل والمورابة طبقا لحساباته الخاصة وبهذا قد أوجد الفرصة لنفسه بخلق مساحة من حرية الحركة الكافية وجعل نفسه باب من أبواب الرئيسة في الخليج. **نجد قول الرئيس مبارك في خطاب المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقد في القاهرة في شأن أزمة الخليج: عمال أحاول في فرصة. ألاقي أمل. كل الأبواب مقفولة.**

أما بخصوص كلمة "الشيطان" فقد كانت كلمة السر لبدء عملية عاصفة الصحراء هي (سليمان) ملك الجن، وعليه بذكر تلك الكلمة على الملك أن يعرف عفاريت الجن على وشك أن تبدأ فتح أبواب الجحيم. وكلمة شيطان هي إعلان لبداية الأمر أو الأشارة لبادئ الحرب. **ونجد قول الرئيس صدام: ارتكب زميل الشيطان، إرادة الشيطلن في البيت الأبيض.**

الدول الكبرى لا تبدأ باستخدام القوة وإنما بالدبلوماسية، فهى خط الدفاع الأول ليأتي بعدها القوات المسلحة الدولية كخط دفاع ثان، وما بين الدبلوماسية والقوة العسكرية مايسمى بالعمل الخفي ولكن بوسائل مختلفة أي القوة بغير حرب وهي أساليب الحرب الخفية التي تعرف باسم (الحرب الباردة). **وقول الرئيس بوش في خطابه إلى جمعية الضباط الاحتياط: منذ اليوم الأول لعبور قوات صدام إلى الكويت إن**

ما تعرض ويتعرض للخطر ليس أمننا الاقتصادي والنفطي ولكن احتمالات السلام كذلك في فترة الحرب الباردة.

نقد موت المؤلف:

تحتاج فكرة موت المؤلف إلى كثير من التأمل والتفكير وضرورة إعادة النظر بتقديم نتائج المناهج السالفة، فالنص والمؤلف كل لا يتجزأ، ولا يمكن الفصل بينهما تحت أي ذريعة من الذرائع، وإن كانت قوية ومقنعة، وتحليل النص ودلالاته لايمكن أن يكتمل دون التطرق إلى الكاتب أو المؤلف أو المبدع، فلابد من إعطاء المؤلف حيزًا مهمًّا من الدراسات، حتى النص لم يتم الاكتفاء بتحليله وتفكيكه بل تم النظر إلى معناه الذي لم يسلم هو الآخر، وقيل إنه لا يوجد معنى ثابت للنص.

فهذه الفكرة لم تؤمن بقدرة الإنسان على التأثير في التاريخ والواقع الاجتماعي، بل نظرت إليه بوصفه منعزلًا وخاضعًا لهيمنة الأنموذج اللغوية، وبذلك جردته من أي حرية أو قدرة على ممارسة الإرادة الإنسانية. وهذا يعني أن المعنى لا يأتي من خارج اللغة، الأمر الذي يعني إقصاء المؤلف لأنه يمثل قيدًا على تفسير النص، ويعني رفض فكرة وجود معنى نهائي أو سري مقدس للنص بل رفض وجود الإله ذاته.

وأهم مأخذ على هذه الدراسة هو محاولة تطبيقها على النص القرآني؛ إذ بدأت الإشكالية مع دراسة للنص القرآني من خلال محاولة تطبيقها على القرآن الكريم، بدعوى أنه نص لغوي وفق الرؤية المجردة، ومن ثَمَّ تطبيق نظرية بارت والتناص وإسقاطها على النص القرآني.

فهذا أخرجها من النص البشري إلى النص الإلهي؛ مما يفقده قدسيته وإعجازه، وقد كان الوقوع في هذا هو الخطأ بعينه، فإن أهم ما يميز النص القرآني منذ الأزل هو مرجعيته الربانية، فالله عز وجل هو المرسل بالوحي إلى الرسول محمد صلى

الله عليه وسلم، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى يحمل كل صفاته الأزلية، فكيف يمكن في هذه الحالة تطبيقها عليه؟!

إن المنطلق العقلي والمتعارف عليه يؤكد أن الإنسان هو الذي اخترع اللغة، وهذا لا غبار عليه، ولكن مثل هذا التعسف في إعلاء قيمة النص على حساب المبدع –أي المؤلف– واستنطاقه بما لا يحمله من دلالة، يشبه وضع النص على آلات التعذيب ليجبر على الاعتراف بجريمة ضد مجهول.

قد شهدنا ظهور مناهج وأفكار تدعو إلى إلغاء النص والانتقال والتركيز على العنوان بمفرده، وقد نرى الاحتفاء بالمؤلف والنص معًا وفق معايير جديدة تختلف عن المناهج التي سادت من قبل. فالكاتب دون قارئ لا قيمة له، والكاتب دون قارئ يتأثر بما يكتبه تقريبًا لا قيمة له أيضًا، إن الكاتب الذي يكتب دون التفكير في القارئ فهو يفعل ذلك من باب "المناظرة"، ليقول عن نفسه إنه كاتب، أو من باب الراحة النفسية؛ لأن الكتابة تريح النفس.

فالكاتب الذي يكتب ومهتم بعدد القراء، ولكنه لا يهتم بالتأثير الذي تحدثه مقالاته في القارئ يكتب من باب أداء ما عليه، هذا ما دفعني إلى التفكير في علاقة الكاتب بالقارئ وهو ما أناقشه في هذا البحث. ومن ثَمَّ فإن العلاقة ثنائية بين الكاتب والقارئ، والعلاقة الصحية من وجهة نظري هي العلاقة ذات الاتجاهين، فالكاتب يكتب والقارئ ينفعل بما كتب الكاتب، ويقول رأيه أو يقترح تكملة للموضوع أو يقترح موضوعًا آخر أو حتى يهاجم الرأي المطروح، فالكاتب بدوره يتفاعل مع القارئ ويؤثر ذلك على كتاباته المستقبلية.

الفائدة من هذه العلاقة الثنائية مهمة جدًّا للقارئ، فالموضوع المطروح يدفع القارئ للتفكير وطرح أسئلة أخرى، وهذا يساعده ليس فقط على تعلم شيء جديد، ولكن على مراجعة أفكاره هو واكتشاف أبعاد أخرى في نفسه. ماذا لو كان المقال

أو الكتاب ضعيفًا أو لم يضف شيئًا جديدًا للقارئ؟ هنا فرصة كبيرة للقارئ ليؤثر في الكاتب ويوجهه، وإذا كان الكاتب فعلًا مهتمًا بالقراء، فسيؤثر هذا التوجيه في كتاباته المستقبلية، ومن الطرائف ما يحكى عن عباس محمود العقاد الذي قال إنه حتى الكتابات التافهة تفيده في معرفة ماهية التفاهة!

هذه العلاقة الثنائية مهمة جدًّا للكاتب أيضًا، فالناس تتفاوت في أذواقها وطرق تفكيرها ومعتقداتها، الكاتب يكتب مقالًا وفي عقله فكرة معينة ويقلبها على جميع جوانبها أو هكذا يظن، لكن القارئ يقرأ شيئًا قريبًا ولكنه مختلف بعض الشيء؛ لأنه يرى بعدسة معتقداته وطريقة تفكيره وتعليمه، وهذا يدفعه إلى الرد على الكاتب بأفكار أو آراء قد لا يكون الكاتب قد فكر فيها، وهنا يحدث السحر وتتولد أفكار جديدة قيّمة إذا قام الحوار وتمت المناقشة بطريقة صحيحة.

ففي الرواية التي تتحول إلى فيلم، نجد أن للكاتب أفكاره ثم يأتي المخرج يضع رؤيته وبصمته، والمتفرج يستخرج من الفيلم أفكارًا تكون مختلفة عما فكر فيه المؤلف أو المخرج، وكل متفرج يستخرج أفكارًا تعتمد على طريقة تفكيره ومعتقداته وشخصيته.

إذن فمن العمل الواحد استخرجنا أفكارًا كثيرة وتعلمنا دروسًا كثيرة، وهذا لم يكن ليحدث لو لم تكن تلك العلاقة الثنائية بين الكاتب والقارئ، ونقف عند تلك النقطة حيث الكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة، وتلك العملة هي حجر الأساس لبناء مجتمع علمي.

كذلك الغوص في أعماق شخصية المتلقي بالميل إلى استعمال ظروف حياة المبدع؛ لتكون المادة الأساسية التي يعتمد عليها في نقد عمل من أعماله. والاعتماد على الحياة الشخصية للمبدع لتقييم أعماله قد يكون مثيرًا للفضول وليس معيارًا نقديًّا حاسمًا.

إن النص الأدبي هو "ثمرة أنا أخرى"، قد تكون مختلفة تمامًا عن تلك التي تتجلى، وتبرز في الأوساط. فدائمًا يسعى الناقد للغوص في عالم هذه "الأنا المتخفية" لسبر أغوارها ومجاهلها كأن التعامل من منطلق أبوي "أخلاقي". فالحياة الحقيقية للمبدع تكمن في أعماله، أما ما تبقى فـ "هراء وسخف"، وقد أطلق الراحل عبد الوهاب البياتي مصطلح "المافيات الثقافية"[٢٦]التي سممت الحياة الأدبية والفنية وأفسدتها، جاعلة من المجاملات ومن الصداقات ومن المصالح الخاصة أدوات أساسية. وهذا أدى إلى إظهار الجانب المفرط والسطحي الطاغي والغالب عندما سمحوا لأنفسهم بالسيطرة على المشهد الثقافي والإبداعي، مصدرين أحكامًا خاطئة ومتسرعة وظالمة عن هذا وذاك.

الخاتمة:

- يكمن وراء عبارة العقاد: "إن الأديب الذي لا يمكن العثور على شخصه الفرد الأصيل في أدبه لا يستحق أن يدرسه الدارسون"[٢٧]، أن النص ليس مجرد تعبير عن العبقرية، ولا هو مجرد انعكاس للظروف الراهنة، بل هو نتاج الطابع الثقافي وبدوره يعكس الأصل الاجتماعي والمسار السياسي.
- يجب البحث عن مواطن التميّز، انطلاقًا من تحديد العلاقة الموضوعية التي تشكّلت ضمن شروط معينة والوضع الرمزي والعلاقة بالنظام الحاكم بدلا من البحث والانشغال بأوهام كشف أسباب تفرّد وتفسير أسرار تعاليهم.
- ظهور اتجاه آخر يدعو إلى التركيز على لغة النص والمتلقي معًا بمعزل عن المؤلف الذي لم تعد له سلطة تهيمن على معاني النص ودلالاته، ليلغى هذا الاتجاه أي يقصي بعيدا سلطة المؤلف.
- ومن خلال هذين الاتجاهين المتناقضين إلقينا الضوء على المقاربة النقدية والفكرية والمقارنة التحليلية على تأصيل نظرية موت المؤلف وتداعياتها الفكرية.

- إن العمل السردي فيه شيء من رؤية أو مشاهدات العالم المحيط به، والعمل السردي هو عملية تخيّلية أشبه بالكذبة الجميلة التي يصدّقها المتلقي مستمتعًا بها، مستمدًّا بعض شخصياته من الواقع مع إضافات خيالية، وقد ينجو من فخّها بتوظيف خياله، ويخترع فيسبغ على النص طعمًا آخر.
- المؤلف هو حصيلة كل تلك القراءات والمشاهدات والتلقي المعرفي والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية والجندرية، والبيئة التي يعيش فيها، وطموحاته وأمنياته ورغباته.
- النظرة الكلاسيكية السائدة لنص أنه ابن شرعي لمؤلفه، وانعكاس لحياته وثقافته ونفسيته، وإضاءة النص بهذه المعطيات ساعد الجمهور على التماهي والتجاوب مع أفكار الخطيب ومقاربة تجربته الشعورية.

الهوامش

١. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

٢. رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٤.

٣. بول فاليري، في كتاب الشعر والفكر المجرد، نشر عام ١٩٣٩.

٤. عبد الله الغذامي، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر العربي، ٢٠٠٤.

٥. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

٦. سعيد أحمد أبوضيف، إشكالية المعنى بين سلطة المؤلف والقارئ، مجلة الثقافة الجديدة، عدد٣٩٣، يونيو ٢٠٢٣. عن أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية.

٧. وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي، ص٦٩.

٨. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

٩. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

١٠. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

١١. عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي "البلاغة السلطة المقاومة"، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٠.

١٢. المرجع نفسه.

١٣. المرجع نفسه.

١٤. المرجع نفسه.

١٥. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢.

١٦. المرجع نفسه.

١٧. المرجع نفسه.

١٨. المرجع نفسه.

١٩. المرجع نفسه.

٢٠. المرجع نفسه.

٢١. المرجع نفسه.

٢٢. المرجع نفسه.

٢٣. المرجع نفسه.

٢٤. المرجع نفسه.

٢٥. المرجع نفسه.

٢٦. مصطلح "المافيات الثقافية" هو مصطلح ابتكره الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي لوصف الظواهر السلبية التي تؤثر على الحياة الأدبية والفنية في العالم العربي وينتقد بشدة هذه المافيات في مقالاته ومحاضراته.

٢٧. عبد الله الغذامي، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر العربي، ٢٠٠٤.

المصادر والمراجع

أولا– المصادر:

١) ملحق الخطابات موجود بموقع: http://www.moqatel.com

ثانيا– المراجع العربية والمترجمة:

١) إبراهيم أسيكار، الاستعارة، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٣.

٢) آلن غولد شليغر، نحو سيمياء الخطاب السلطوي، ترجمه مصطفى كمال، ضمن بيت الحكمة، الدار البيضاء، ط٢، العدد٥، ١٩٨٧.

٣) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي لبنان، المغرب، ط١، ١٩٩٦.

٤) براون ج. ب، يول و. ج.، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق الدكتور محمد لطفي الزليطني، والدكتور منير التريكى، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧.

٥) توماس أ. سلوان، موسوعة البلاغة ج١، ج٢، ج٣، ترجمة نخبة، عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦.

٦) جنيت جيرار، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة ط٢، ١٩٩٧م.

٧) رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٨٦، ط٣، ١٩٩٣.

٨) ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، مجلس الوطني للثقافة وفنون الأدب – الكويت، ٢٠١٣.

٩) رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٤.

١٠) زواوي بغورة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، ٢٠٠٥.
١١)سعيد بدوي، مستويات العربية المعاصرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣.
١٢) عبد الله الغذامى، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر العربي، ٢٠٠٤.
١٣) عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي "البلاغة السلطة المقاومة"، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٠.
١٤) عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧.
١٥) عيد بلبع، أكذوبة التناص "مراجعات أسلوبية في السرقات الشعرية"، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩.
١٦) غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر،١٩٩٢.
١٧) قجور عبد الملك، مقاربة النص وفق بعض الطرائق الحديثة، مؤسسة البحر الأبيض المتوسط الدولية للنشر والإشهار، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨.
١٨) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢.
١٩) محمد داود، حرب الكلمات في الغزو الأمريكي على العراق، دار غريب،٢٠٠٣.
٢٠) هربر أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة وفنون الأدب – الكويت، ١٩٧٨.

ثالثا- الدوريات والمجلات العربية:

١) بدر الدين مصطفى، دراسة موت المؤلف.. هل ثمة ضرورة؟، عدد ٢١، نوفمبر ٢٠١٧، يناير ٢٠١٨.
٢) سعيد أحمد أبو ضيف، دارسة إشكالية المعنى بين سلطة المؤلف والقارئ، مجلة الثقافة الجديدة، عدد ٣٩٣، ينويو٢٠٢٣.

٣) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت، العدد١٦٤، ١٩٩٢.
٤) صفار، تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة، مجلة النهضة، المجلد ٦، العدد ٤.
٥) مازن الوعر، اللسانيات وتحليل الخطاب السياسي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية. مجلة اللغة والأدب، تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد٨، ١٤١٦ه، ١٩٨٦م، هـ صناديق الاستثمار.